بسم الله الرحمن الرحيم

سورة التوبة وهي مدنية كلها وقال يعقوب الا اثنين لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخرهما
نزلت سنة تسع من الهجرة فنحت مكة سنة ثمان وحج رسول الله صلى الله عليه وآله حجة الوداع سنة عشر
وقال قتادة ومجاهد وهي آخر ما نزل على النبي صلى الله عليه وآله بالمدينة عدد آيها هي مائة وتسع وعشرون
آية كوفي وثلثون في الباقين اختلافها ثلث آيات برئ من المشركين بصري وعذابا اليما شامي
وعدو في حجازي وطائفة اسما براءة سميت بذلك لانها مفتتحة بها ونزلت باظهار البراءة من
المشركين التوبة سميت بذلك لكثرة ما فيها من ذكر التوبة كقوله وتوب الله على من يتاب وان يتوبوا يك
خيرا لهم ثم تاب عليهم ليتوبوا الفاضحة عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة التوبة فقال
تلك الفاضحة ما زال ينزل ومنهم ومنهم حتى خشينا ان لا يبقى منا احد الا ذكر وسميت بذلك لانها
فضحت المنافقين باظهار نفاقهم البعثرة عن ابن عباس ايضا سميت بذلك لانها تبعثر
عن اسرار المنافقين او تبعث عنها المقشقشة عن ابن عباس سميت بذلك لانها تبرئ من
بها من النفاق والشرك لما فيها من الدعاء الى الاخلاص وفي الحديث كان يقال لسورة قل يا ايها
الكافرون وقل هو الله احد المقشقشتان سميتا بذلك لانهما يبريان عن الشرك والنفاق
يقال قشقشه اذا برأه وتقشقش المريض من علته اذا افاق منها وبرئ البحوث عن ابي ايوب الانصاري
سميت بذلك لانها تبحث عن ذكر المنافقين والبحث عن سرائرهم المدمدمة عن سفيان بن عيينة اي
المهلكة ومنه قوله فدمدم عليهم ربهم الحافرة عن الحسن لانها حفرت عن قلوب المنافقين ما كانوا
يسرون المثيرة عن قتادة لانها اثارت مخازيهم ومقابحهم سورة العذاب عن حذيفة بن يمان لانها تنذر
بعذاب الكفار روى عاصم عن زر بن حبيش عن حذيفة بن اليمان قال يسمونها سورة التوبة وهي
سورة العذاب فهذه عشرة اسما فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرأ سورة
الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيامة بخير وقد مضى ذكره مع ما في معناه في اول الانفال وقد روى عن

في جواره

اولم يظهرها له

يوسف تلك الكلمة التي قالها لاخوته ولم يبد صالهم قال انتم شر مكانا في السرق لانكم سرقتم اخاكم من ابيكم والله اعلم بما تصفون
او الله اعلم بسرقكم لم لا عن التعجب ويكون المعنى انتم اشر حالا من يوسف فانه لم يكن صنيع في المنطقة وكان يتصدق
ابيه يعلم بكونه بريا مما علم فوه به وقيل معناه انتم شر صنيعا بما اقدمتم عليه من ظلم اخيكم وعقوق ابيكم فانتم شر مكانا
عند الله منه اي اسر هذه المقالة في نفسه ولم يجهر بقوله والله اعلم بما تصفون قال الحسن لم يكونوا انبياء في ذلك الوقت
وانما اعطوا النبوة بعد ذلك والصحيح عندنا انهم كانوا انبياء لان النبي عندنا لا يجوز ان يقع منه فعل القبيح اصلا
وقد اللبلخي انهم كذبوا في هذا القول وكم يصح انهم كانوا انبياء وجوز ان يكون الاسباط غيرهم وان يكونوا من اولادهم
قالوا يا ايها العزيز ان لابا شيخا كبيرا مكانه او بدلا منه انما قالوا هذا لما علموا انه استحقه فسألوه ان يأخذ غيره بدلا
شفقته على والدهم ورقة في القول على وجه الاسترحام ومعناه كبير في القدر لا يجبر ابن مثله انا نراك من المحسنين
الى الناس وقيل من المحسنين الينا في الكيل ورد البضاعة وفي الضيافة فتحن نأمل هذا منك لاحسانك الينا وقيل
ان فعلت هذا فقد احسنت فاجابهم يوسف بان قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده اي نعوذ
بالله معاذا لحقه بربنا بحرم الستيقيم وقال من وجدنا متاعنا عنده ولم يقل من سرق رحرز امن الكذب انا اذا لظالمون اي
لو فعلنا ذلك لكنا ظالمين وفي ذلك دلالة على ان اخذ البريء بالجرم ظلم ومن فعله كان ظالما والله تعالى يجل عن ذلك
علوا كبيرا فلما استيأسوا اي فلما يأس اخوة يوسف ان يجيبهم الى ما سألوه من تخليه سبيل ابن يامين معهم خلصوا
نجيا اي افرادا عن الناس وغيرهم ان يكون معهم من ليس منهم يتناجون فيما يعلمون من ذنبهم الى ابيهم من
اخيهم ويتدبرون في انهم يرجعون امر يقبلونه وتلخيصه اعتزلوا عن الناس متناجين وهذا من الفاظ القرآن التي هي
في الغاية القصوى من الفصاحة والايجاز في اللفظ مع كثرة المعنى قال كبيرهم وهو روبيل وكان اسنهم وهو ابن خالة يوسف
وهو الذي نهاهم عن قتله عن قتادة والسدي والضحاك وكعب وقيل يهوذا وهو كبيرهم في العقل والعلم لا في
السن وكان رئيسهم عن مجاهد وقيل بنيامين وكان اعظمهم عرو عن ابن الكلبي وقيل لاوى عن محمد بن اسحق وعن
ابن ابراهيم بن هاشم لم يعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله اراد به الوثيقة التي طلبها منهم يعقوب حين ان
ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به فذكروهم ذلك ومن قبل ما فرطتم في يوسف اي قصرتم في امره
وكنتم قد عاهدتم اباكم ان ترجعوا اليه سالما فنقضتم العهد فلن ابرح الارض اي لا انال بهذه الارض ولا
انزل عنها وهو يريد مصر حتى يأذن لي ابي في الرجوع اليه او يحكم الله لي بالخروج وقد ان اخي هذا وقيل
بالموت وقيل بما يكون عذرا لتخلفه عنه وروينا عن ابي مسلم وقيل بالتيمم حتى اصاب من حبس اخي عن الجبل او هو خير
الحاكمين لا يحكم الا بالحق قالوا انه قال لهم انا اكون ههنا واحملوا انتم الطعام اليهم فاخبروهم الواقعة
فوله تعالى ارجعوا الى ابيكم وقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين
واسئل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها واننا لصادقون قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر
جميل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف وابيضت
عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين قال
انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا
تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة

الرحمن ودا في الاخرة يحب بعضهم بعضا كمحبة الوالدة لولدها وفي ذلك اعظم السرور
واتم النعمة عن الجبائي ويؤيد القول الاول ما صح عن امير المؤمنين عليه السلام
لو ضربت خيشوم المؤمن لبيغضني هذا على ان يبغضني ما ابغضني ولو صببت الدنيا
بجمامها على المنافق على ان يحبني ما احبني وذلك انه قضي فانقضى على
لسان النبي صلى الله عليه وآله انه قال لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق
ثم قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله فانما يسرناه بلسانك اي يسرنا القرآن بان انزلناه
بلسانك وهي لغة العرب ليسهل عليهم معرفته ولو كان بلسان آخر
ما عرفوه عن ابي مسلم وقيل معناه يسرنا قراءة القرآن على لسانك وممكناك
من قراءته عن الجبائي لتبشر به المتقين اي لتبشر بالقرآن الذين يتقون
الشرك والكبائر اي لخبرهم بما يسرهم مما اعده الله تعالى لهم وتنذر به
قوما لدا اي شدادا في الخصومة عن ابن عباس يعني قريشا وقيل قوما
ذوي جدل مخاصمين عن قتادة ثم انذرهم سبحانه وخوفهم بقوله
وكم اهلكنا قبلهم من قرن اي قبل هؤلاء من قرن مكذبين
للرسل وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وآله والمعنى لا يمنك كفرهم
ونفاقهم فان وبال ذلك راجع اليهم وكم اهلكنا من مكان مثلهم
هل تحس منهم من احد اي هل تبصر منهم احدا او تسمع لهم ركزا
اي صوتا عن ابن عباس وقتادة وقيل حسا عن ابن زيد والمعنى انهم
ذهبوا فلا ترى لهم عينا ولا تسمع لهم صوتا وكانوا اكثر اموالا
واعظم اجساما واشد خصاما من هؤلاء فلم يغنهم ذلك لما انزلنا
اهلاكهم فكيف حكم هؤلاء الكفار حكم اولئك في انه لا يبقى منهم عين ولا اثر

تم الجزء السادس من مجمع البيان لعلوم
القرآن ويتلوه الجزء السابع منه

SCHOOL OF ORIENTAL & AFRICAN STUDIES. LONDON